سياسة الحفريات اليهودية في القدس وموقف منظمة المؤتمر الإسلامي من ذلك

أ. أوهيبة خديجة

أستاذة مشاركة بكلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية

منذ بداية الاحتلال انتهجت إسرائيل سياسة الحفريات لعلّها تجد ما يثبت انتسابها للمنطقة؛ ولكن دون جدوى، والحفريات هي طريقة من طرق تهويد المقدسات الإسلامية، فتعرض المسجد الأقصى بسب ذلك إلى محاولات استهدفت حرقه وتخريبه، ولكن أخطر ما يهدده هو السعي لإقامة الهيكل الثالث المزعوم على أنقاضه؛ وهي محاولات تتم تدريجيا وبهدوء، لذا حفر نفق، قيل: إنّه سياحي قرب أساسات المسجد الأقصى، كما حفرت أنفاق أخرى تحته. وفي مؤتمر صحفي حذر ناجح كثيرات رئيس لجنة حماية الآثار في المسجد الأقصى من استمرار السلطات الإسرائيلية بالمساس بالمسجد الأقصى، وقال: "إن عمق الحفريات بارتفاع ما بين (6-9) أمتار، وبامتداد عشرات الأمتار؛ وهذه الحفريات تتم في الجهتين الغربية والجنوبية تحت المسجد الأقصى، ومقبرة باب الرحمة"[1].

وقد صرح خبير الآثار الإسرائيلي جوزيف سيرج في 18 أوت 1990م بقوله: "سنقوم بإعادة بناء الهيكل الثالث على أرض المسجد الأقصى الذي تستطيع إسرائيل تصديعه باستخدام الوسائل الحديثة"[2].

وهكذا تكون الحفريات قد بلغت مراحل خطيرة عندما أخذوا نزع الأتربة والصخور من تحت المسجد الأقصى، وقبة الصخرة، مستخدمين المواد الكيماوية لتذويب الصخور؛ مما يجعل الأقصى تحت خطر الانهيار في أي لحظة؛ بسبب أية عوامل طبيعية كالعواصف القوية، أو الزلازل؛ ولو ضعيفة، أو عوامل بشرية كالطائرات المخترقة للصوت.

وكما قامت جماعة يهودية في 17 أكتوبر 1889م بوضع حجر الأساس لبناء الهيكل اليهودي الثالث قرب مدخل المسجد الأقصى[3].

لذلك فقد حذر محمد حسين – مفتي القدس والأراضي المقدسة – من كارثة حقيقية في القدس في حال وقوع أي زلزال؛ بسبب الحفريات التي تقوم بها السلطات الإسرائيلية تحت المسجد الأقصى، وقال:" ...القدس أصبحت مدينة في الهواء، ومفرغة من تحتها على عمق عشرات الأمتار..."، أما عضو الكنيست عزمي بشارة فيرى أنه ليس " المسجد الأقصى كبناء يتعرض الآن للخطر، ولكن السيادة الإسلامية –العربية– الفلسطينية عليه تعرضت لخطر أكبر، أنها مفقودة "، وأما الحكومة اليهودية فتواصل في عمليات الحفر في القدس وتهديم أساساته حيث يقول إيهود أولمرت: "لا يجب الهلع من بعض التظاهرات والصراخات" وإذا عدنا إلى تاريخ الحفريات سنجد أنها قديمة سبقت الاحتلال الإسرائيلي ثم تواصلت أثناءه وما زالت مستمرة.

أ– الحفريات التي سبقت الاحتلال الاسرائيلي سنة 1967:

بدأ البحث عن الآثار في دولة فلسطين لأول مرة في النصف الثاني من القرن 19 ورغم أن عددا من الحفريات قد جرى خلال 100 سنة التي سبقت الاحتلال الإسرائيلي إلا أن النتائج كانت مقرونة بفرضيات خيالية غير حقيقية ومتضاربة مع بعضها البعض، وقد بلغ عدد الحفريات في أنحاء فلسطين عشرون حفرية وعندما كانت تكتشف أي طبقة من الآثار الإسلامية كانت تلقى الإهمال والضياع والتدمير أثناء البحث في طبقات أعمق وأقدم ونادرا ما توثق[4].

إن أول حفرية تمت في القدس كانت سنة 1863م من قبل بعثة فرنسية برعاية عالم الآثار (ديسولسي) الذي اكتشف مقابر الملوك (kings tombs) خارج بلدة القدس القديمة، وادعى أنها ترجع إلى عصر الملك داوود، وكان فيها مخطط باللغة الآرامية نقله ديسولسي إلى متحف اللوفر في باريس.

وخلال الفترة ما بين (1867-1870)م قامت بعثة بريطانية باسم الصندوق البريطاني لاكتشاف آثار فلسطين برئاسة المهندس الكولونيل (تشارلز وارين) وكان هدفه منصبا على منطقة الحرم القدسي الشريف، أما أهم مكتشفاته فكانت آبارا مائية متصلة بنبع جيحون، ثم قام بحفريات عمومية، وأنفاق أفقية نحو جدران الحرم القدسي الشريف: الشرقية والجنوبية والغربية، ومن تلك الحفريات النفق الذي يقع مدخله بين باب السلسلة وباب القطانين، ويتعامد مع الجدار الغربي للحرم القدسي بطول 25 م وبعرض 6م ويصل إلى سبيل قايتباي، وقد نشر الكولونيل نتائج حفرياته في كتابه (اكتشاف القدس) سنة 1871م، وفي كتابه (توثيق القدس) سنة 1884م، كما أن الأب فيريسون (Viricent) أجرى حفريات قرب نبع جيحون، واكتشف أروقة ومغارات محفورة في الصخر كانت تحتوي على أوان فخارية تعود إلى القرن 3 ق.م، ومن هذه المكتشفات استنتج أن التل الجنوبي الشرقي كان الموقع الأصلي للقدس، وأن هذا النبع جلب السكان في هذا المكان، ثم كانت الحفريات التي قام بها الجنرال الألماني المعماري (كونراد تشيك) الذي تخيل ورسم الهيكل الذي حلم بإنشائه، ومن أهم مكتشفاته القناة التي تبدأ من أسفل المدرسة المنجكية (المجلس الإسلامي حاليا)، والتي كانت تزود القدس بالمياه.

أما في عهد الانتداب البريطاني فتأسست بعض معاهد الآثار (كالمدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية) برئاسة (و.أولبرايت)، ثم جاء (الصندوق البريطاني لاكتشاف آثار فلسطين)، وتمت أهم حفرياتهم الأثرية خلال الفترة: (1923-1928)م في مناطق ملاصقة لبلدة القدس القديمة.

ب – **الحفريات الإسرائيلية في القدس بعد عام 1967**:

شُرِع في هذه الحفريات أواخر عام 1967م، ولم تتوقف إلى الآن رغم قرارات مجلس الأمن، وهيئة الأمم المتحدة، ومنظمة اليونسكو التي طالبت إسرائيل بإيقافها، وأهم هذه الحفريات التي وقعت:

1) **حفريات جنوبي المسجد الأقصى**:

بوشِرت أواخر 1967م وتمت في 1968م على امتداد 70م أسفل الحائط الجنوبي للقدس؛ أي خلف الأقصى ومسجد النساء والمتحف الإسلامي والمئذنة الفخرية ووصل عمق هذه الحفريات إلى 14م، وهي تهدد بتصدع الجدار الجنوبي ومبنى المسجد الأقصى، وقد مَوَّلت الجامعة العبرية هذه الحفريات التي يترأس فريقها البروفسور (بنيامين مزار) ومساعده (مائير بن دوف)، ونشر أول تقرير عن نتائج التنقيب عام 1969م، وكانت آثارا إسلامية أموية للفترة مابين (660-750)م، وآثارا رومانية، وأخرى بيزنطية، وأصرّ في كتابه على أن موقع الهيكل المزعوم هو نفس موقع المسجد الأقصى، وأنّ مدخله من الناحية الغربية.

2) **حفريات جنوب غرب الأقصى**:

تم هذا الجزء من الحفريات سنة 1969 على امتداد 80م، مبتدئة من حيث انتهى الجزء الأول، ومتجهة شمالا حتى وصلت باب المغاربة، مرورا تحت مجموعة من الأبنية الإسلامية التابعة للزاوية الفخرية (مركز الإمام الشافعي وعددها 14) صدعتها جميعها ومن ثم أزالتها السلطات الإسرائيلية بالجرافات بتاريخ 1969/6/14 وأجلي سكانها.

3) **حفريات جنوب شرق الأقصى**: بوشرت هذه الحفريات عام 1973 واستمرت حتى عام 1974 وامتدت إلى مسافة 80 م للشرق واخترقت الحائط الجنوبي للحرم القدسي الشريف ودخلت إلى الأروقة السفلية للمسجد في أربع مواقع[5] وقد وصلت أعماق هذه الحفريات إلى أكثر من 13م وعرضت جدار الأقصى الجنوبي لخطر التصدع والانهيار.

4) **هدم حارة المغاربة:** بعد أربعة أيام من الاحتلال الإسرائيلي للقدس أي في 1967/6/11 هدم حي المغاربة الملاصق للمسجد الأقصى من الجهة الجنوبية الغربية بواسطة الجرافات وكان في هذا الحرم مسجدان و 135 منزلا كانت هذه الأراضي والمساكن المحيطة بحائط البراق وقف على طائفة المغاربة [6] وتحولت المنطقة الآن إلى ساحة كبيرة لاجتماع السياح فيها.

5) **حفريات النفق الغربي:** بوشرت هذه الحفريات سنة 1970 وتوقفت سنة 1974 لتستأنف ثانية سنة 1975 واستمرت حتى أواخر 1980 رغم قرارات اليونيسكو وامتد النفق من أسفل المحكمة الشرعية (وهي أقدم الأبنية التاريخية في القدس) ومن أسفل 5 أبواب من أبواب الحرم الشريف وهي : باب السلسلة، وباب المطهرة، وباب القطانين، وباب الحديد، وباب علاء الدين البصيري، ومر كذلك تحت 4 مساجد ومئذنة قاتيباي الأثرية، وسوق القطانين وعدد من المدارس التاريخية ومساكن يقطنها حوالي 3000 عربي مقدسي، وقد وصلت حفريات النفق إلى عمق 11-14م تحت منسوب الأرض وطول 450م.

6) **مراحل الحفريات:** منذ 1967 وحتى 2000 مرت عمليات الحفريات بعشر[7] مراحل تمت بتحكم، كان هدم حي المغاربة أول مرحلة من ضمن عشر مراحل من مؤامرة الحفريات.

* **المرحلة الأولى:** وهي التي تم فيها هدم حي المغاربة لتكون الأرض جاهزة لأي أعمال حفر وتنقيب واستمرت الحفريات في هذه المرحلة سنة كاملة وصل عمقها 14م.

* **المرحلة الثانية:** تواصلت عمليات الهدم في الاحياء الإسلامية وإجلاء السكان وفيها حدث حريق المسجد الأقصى في 1969.

* **المرحلة الثالثة:** استمرت من 1970 إلى 1972 وبدأ فيها شق الانفاق تحت أسوار المسجد الأقصى من جانبيها الجنوبي والغربي حتى وصلت إلى الأرضية الداخلية تحت ساحة المسجد وتم أيضا الاستيلاء على مبنى المحكمة الشرعية.

* **المرحلة الرابعة :** في 1973م حيث اقتربت الحفريات من الجدار الغربي للمسجد الأقصى ووصلت اعماق الحفريات إلى أكثر من 13م.

* **المرحلة الخامسة:** عام 1974م توسعت الحفريات أفقيا تحت الجدار الغربي.

* **المرحلة السادسة :** (75- 76)م فقد أزال اليهود أثناء التوسع في الحفريات مقبرة للمسلمين تضم رفات الصحابيين الجليلين "عبادة بن الصامت وشداد بن أوس" (رضي الله عنهما).

* **المرحلة السابعة:** 1977م وصلت الحفريات إلى تحت مسجد النساء داخل المسجد وتمت فيها موافقة لجنة وزارية إسرائيلية على مشروع يضم أقسام أخرى من الأراضي المجاورة للساحة وهدم ما عليها بعمق 9م.

* **المرحلة الثامنة:** 1979م وهو الشروع في حفريات جديدة قرب حائط البراق، وتم شق نفق طويل ليخترق المسجد الأقصى من غربه إلى شرقه وتم تحصينه بالإسمنت المسلح، وأقيم بقربه كنيس يهودي صغير.

* **المرحلة التاسعة:** 1986م قد انتشرت الحفريات في كل جانب وتم إجلاء السكان من القدس القديمة وسلب بيوتهم وغلق مستشفياتهم.

* **المرحلة العاشرة:** في سنة 1988م ازداد التوغل تحت أرضية الساحة وحولها وتركزت الحفريات على الطبقات التحتية بتفريغها من التربة، وترك المسجدين قائمين على فراغ، وتم حفر النفق الذي يبلغ طوله 457م، ووضعت بوابة حديدية، وفرضت عليه حراسة عسكرية مشددة.

وهكذا نقل اليهود جزء من الصراع إلى تحت الأرض، مدعين أن الأرض كلها لهم وهي لا قيمة لها عندهم إلا بالقدس، ولا قيمة للقدس عندهم إلا بإكمال بناء الهيكل الثالث فيها، وهذا ما اتفق عليه ساساتهم مند بن جوريون ورابين وكذا نتنياهو "لا قيمة لإسرائيل بدون القدس، ولا قيمة للقدس بدون الهيكل" وقد عرض التلفزيون الإسرائيلي[8] صورا من إدارة مدرسة دينية للقدس وقد اختفت فيها معالم المسجد الأقصى ومسجد الصخرة، وظهر مكانهما هيكل سليمان، وقد نشرت صحيفة "يديعوت أحرنوت" الإسرائيلية قصة هذه الصور بقلم أحد الصحفيين اليهود "نرهار سميلانسكي" حيث قال: "إن اليهود المتدينين يعكفون بين آن وآخر على دراسة الخطط المعدّة لشن هجوم على المسجد في الوقت المناسب لتدميره عن آخره، حتى يفرضوا واقعا جديدا ". وقال أيضا: "إنهم يعرفون جيدا كيف سيتم إخلاء بقايا المسجدين، وجثث المصلين قبل الاحتفال بـ (عيد أنوار الهيكل)".

وهم يروجون لدعاية أن المسجد المقام فوق جبل المعبد سوف يهدم بفعل إلهي (كرامة لليهود)، هذا إذا لم يستعجل بعض المتطرفين منهم، أو أصحاب (الهوس الديني) بتقريب موعد هذا الحدث.

ج– موقف منظمة المؤتمر الإسلامي من سياسة الحفريات:

قبل التطرق إلى موقف المنظمة أشير إلى ما يقوله القانون الدولي عن القدس، ففي اتفاقية "لاهاي" 1954م بشان حماية الممتلكات الثقافية والدينية في أثناء المنازعات المسلحة [9]، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عام 1948م، وهما المهدان الدوليان للحقوق المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية الصادران سنة 1966م، وفي الملحقان الإضافيان لاتفاقيات جنيف الأربع الموقعان سنة 1977م، واتفاقية فيينا سنة 1983م بشأن خلافة الدول المستَعمَرَة في الممتلكات، والتي أضفت حماية قانونية خاصة على المقدسات الدينية، وأيضا بناء على معاهدتي باريس سنة 1856م وبرلين سنة 1878م بين الدولة العثمانية والدول الأوربية التي تم التوكيد فيهما على ما تضمنه الفرمان العثماني الصادر سنة 1852م بشأن "احترام كل طائفة دينية في الإشراف على أماكن عبادتها في القدس"، وأيضا تم تأكيد الحقوق ذاتها في "صك الانتداب البريطاني على فلسطين"، وعلى أن لا يتم تغيير الوضع القائم في المدينة إلا بموافقة جميع الأطراف[10].

أما موقف المنظمة فقد أدان أمينها العام أكمل الدين إحسان أوغلو [11] في بيان "الجريمة الإسرائيلية ضد المسجد الأقصى، واعتبر أن هذه الأشغال هي خرق فاضح للقوانين الدولية، التي لا تجيز لدولة الاحتلال العبث أو تغيير المعالم الدينية والتاريخية في الأراضي التي تحتلها"[12].

أما فيما يخص القرارات الصادرة عن مؤتمرات القمة الإسلامية للمنظمة، والخاصة بالقدس الشريف وفلسطين، ففي القرار رقم 2/2 (ق أ) الصادر عن مؤتمر القمة الإسلامي الثاني المنعقد في لاهور من: 22 إلى 24 فبراير 1974م يدين رفض إسرائيل الامتثال لقرارات الجمعية العامة، ومجلس الأمن التي تطالب بإلغاء كافة التدابير التي تستهدف تغيير الطابع الديني والتاريخي للقدس، واعتبار هذه التدابير باطلة ولاغيه.

وأما في القرار رقم 3/2 من (ق أ) الصادر عن مؤتمر القمة الإسلامي الثالث (دورة فلسطين والقدس)، المنعقد بمكة في العربية السعودية من: 25 إلى 28 يناير 1981م، فيدين إسرائيل بشدة لاستمرارها في تنفيذ السياسات والممارسات التي تطبقها في القدس، وبخاصة إزالة المعالم القومية والأثرية والروحية والثقافية، وانتهاك الحريات والمعتقدات، واعتبار تلك الممارسات لاغيه وغير شرعية.

والقرار يُدِين أيضا إسرائيل لرفضها قرارات مجلس الأمن 446 الصادر سنة 1979م، والقرار452 الصادر سنة 1979م، والقرار465 الصادر سنة 1980م، وعليه فقد أكد مجلس قمة المؤتمر المنعقد في دكار على أنّ جميع الإجراءات التي

اتخذتها إسرائيل لتغيير معالم القدس هي إجراءات غير شرعية، وبالتالي إعلان الجهاد المقدس لتحرير الأراضي المحتلة بما فيها القدس[13].

وأيضا نجد في القرار رقم 4/2 من (ق أ) بشأن مدينة القدس الشريف الصادر عن مؤتمر القمة الإسلامي الرابع، المنعقد في الدار البيضاء بالمغرب الأقصى من:(16–19) يناير سنة 1984م، يُعرِب عن استنكاره الشديد لاستمرار الاعتداءات الصهيونية العنصرية على المسجد الأقصى المبارك، والحرم الإبراهيمي الشريف، وكنيسة القيامة، والأماكن المقدسة، والمواقع الأثرية الأخرى في مدينة القدس بقصد طمس معالمها التاريخية، وكما نجد في القرار رقم 5/2 من (ق أ) بشأن مدينة القدس، الصادر عن مؤتمر القمة الإسلامي الخامس (دورة التضامن الإسلامي) المنعقد في الكويت:(26–27) يناير 1987م التأكيد على استمرار تعزيز التضامن الإسلامي مع الشعب الفلسطيني، والتزام الدول الإسلامية الثابت بإعلان الجهاد لتحرير مدينة القدس الشريف، وتخليص المسجد الأقصى، بينما نجد في مؤتمر القمة الإسلامي السادس (دورة القدس الشريف والوئام والوحدة) المنعقد في دكار بالسنغال من:(9–11) ديسمبر 1991م[14] أنّ كلمة جهاد تختفي، ويكتفي بإدانة كافة مخططات إسرائيل في القدس الشريف التي تهدف لإحداث التغيير فيها، ومنها إدانتها لسلطات الاحتلال الإسرائيلي لهدمها محراب مسجد عثمان بن عفان رضي الله عنه في القدس الشريف، ومطالبتها الأمم المتحدة بتوفير الحماية للأماكن والمقدسات الإسلامية والمسيحية في المدينة المقدسة، وفي مؤتمر القمة السابع المنعقد في الدار البيضاء بالمغرب الأقصى: (13–15) ديسمبر 1994م[15] نجد تأكيد التزام الدول الأعضاء بمواصلة العمل والتنسيق مع المنظمات الإقليمية والدولية من أجل تنفيذ القرارات الدولية الصادرة عن الأمم المتحدة، واليونسكو، لوقف أعمال الحفريات في مدينة القدس الشريف.

الهوامش:

[1]– مقال: هارجوما، الحلقة الأخيرة من مسلسل تهويد القدس، عبان محمود الخطيب. أنظر www.poica.org تاريخ الدخول 03/06/2009، مواصلة الحكومة الصهيونية نشاطها الاستيطاني.

[2]– الإجراءات الإسرائيلية لتهويد المدينة المقدسية والمشاريع المطروحة حول المدينة مركز العودة الفلسطيني بريطانيا .الصادر بيوم: الإثنين 26 فيفري2007 م، الحرب الصامتة قد تطلق على التطبيع أنظر مجلة البيان، العدد 24 الصادر 1 ماي 2005 . www.albayan-magazine.com

[3]– د. محسن محمد صالح، فلسطين دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، الناشر: مركز الإعلام العربي، الجيزة – مصر، ط 1، سنة:1424هـ/2002م، ص 522. وانظر المركز الفلسطيني للإعلام بتاريخ 23 مارس 2000م، و (2–6) أبريل 2000م.

[4]– الحفريات الأثرية في القدس، مهندس رائف يوسف نجم تموز 1997 تقارير أنصار القدس. (مقدم من ندوات القدس 5000 عام). الموقع www.Palastine.info.info.

[5]. أسفل جامع عمر (الجناح الجنوبي الشرقي للمسجد الأقصى)، أسفل الأبواب الثلاثة للأروقة الواقعة أسفل المسجد الأقصى، أسفل الأروقة الجنوبية الشرقية للمسجد، أسفل محراب المسجد الأقصى.

[6]. مجير الدين الحنبلي العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس مع نباتة، ج 2، ص: 46، الناشر: مكتبة دنديس، عمان – الأ{دن، سنة:1999 ويرجع تاريخ إنشاء حارة المغاربة إلى عهد الملك الأفضل نور الدين علي ابن صلاح الدين في فترة سلطنته على دمشق 589–592.

[7]. مقال لعبد العزيز كامل بعنوان: "المسجد الأقصى والزلزال القادم"، مجلة البيان، نوفمبر، ديسمبر 1996، العدد107، ص: 40 رجب. وعبد العزيز كامل، حمى سنة 2000، إصدار: المنتدى الإسلامي، إنتاج شركة ماس للبرمجة، فبراير 1999، ع: 134، ص 64. انظر الموقع : www.alBayan.Magazine.com

[8]– وذلك في البرنامج التلفزيوني (مباط شني) في منتصف عام 1995، عبد العزيز كامل، المرجع السابق، ص:41.

[9] – حسين معلوم، صحيفة الوطن القطرية 2003/10/30.

[10] – وكالات الأنباء من موقع أنصار القدس www.Ansar Alquds.net.

[11]– أوغلو الكيميائي: من مواليد 1943م، اين الشيخ عبد العزيز إحسان، هاجر من الترك هربا من الكمالية، عمل والده في دار الكتب المصرية وساهم في إنشاء الأرشيف والقسم، تخرج سنة 1968 من كلية عين شمس بالقاهرة، ويشغل اليوم منصب أمين عام منظمة المؤتمر الإسلامي. صك الانتداب البريطاني على فلسطين، صحيفة المعرفة، 2004/10/03م، الصفحة الرئيسية ملفات خاصة 2001م وثائق، أخذ من الموقع www.Aljazeera.net .

[12] – وكالات الأنباء من موقع أنصار القدس www. Ansar. Alquds. net.

[13]. منظمة المؤتمر الإسلامي ، الأمانة العامة، القرارات الخاصة بالقدس الشريف وفلسطين، الصادرة عن مؤتمرات القمة الإسلامية، طبعة خاصة، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، الجماهيرية الليبية، قرار رقم (3/5 من ق أ) لصادر عن مؤتمر القمة الإسلامي الثالث (دورة فلسطين والقدس) المنعقد في مكة المكرمة بالسعودية من (25–28) يناير 1981م.

[14]– المصدر نفسه: قرار رقم 6/3 من (ق أ) بشان مدينة القدس الشريف، ص:65.

[15]–المصدر نفسه: قرار رقم 7/2 من (ق أ) بأن مدينة القدس، ص: 77.